

الفقهاء المالكية في البلاط الفاطمي (296-362هـ / 909-973م)

Maliki jurists in the Fatimid court

(362-296 AH / 909-973 AD)

صبرين فنير⁽¹⁾ * . فاطمة بوعمامة⁽²⁾

⁽¹⁾ المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة. الجزائر. f.sabrine1989@gmail.com

⁽²⁾ المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة. الجزائر. bouamamafatma@outlook.fr

تاريخ الاستلام: 2024/01/30؛ تاريخ القبول: 2024/09/28؛ تاريخ النشر: 2024/12/22

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد الأساليب والوسائل التي انتهجها الفقهاء الفاطميون في مقاومة المد الشيوعي الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي، وإبراز دور الفقهاء السياسي في مواجهة الفساد السياسي للسلطة.

لقد بلغ الصراع المذهبي بإفريقية أقصاه على عهد الدولة الأغلبية، وبرز فقهاء المالكية على رأس ذلك الصراع، حيث إنهم كانوا يعمدون إلى محاربة كل ما يخالف المبادئ الحقة للشريعة الإسلامية. كما أن الخلفاء الفاطميين عملوا على نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي بكل الوسائل في مرحلة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب. مما أدى إلى قيام مواجهات عنيفة بين الفاطميين الذين عملوا على نشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، والمالكيين الذين وسعوا في انتشار مذهبهم.

انتهج الفاطميون عدة سياسات مذهبية اقتصادية. قصد إنجاح المشروع الدعوي والسياسي للشيعية الإسماعيلية وكسر شوكة فقهاء المالكية كما أن المقاومة المالكية اكتست طابعين: الطابع الإيجابي السلمي، والطابع العملي الثوري.

كلمات مفتاحية: الفقهاء المالكية؛ البلاط الفاطمي؛ الصراع المذهبي؛ ثورة أبي يزيد الخارجي؛ المناظرات.

Abstract:

This research aims to identify the methods and means adopted by the Fatimid jurists in resisting the Fatimid Shiite tide in the Islamic Maghreb, and to highlight the role of political jurists in confronting the political corruption of power.

The sectarian conflict in ifriqiya reached its maximum during the reign of the majority state, and the Maliki jurists emerged at the head of that conflict, as they were intent on fighting everything that contradicts the true principles of Islamic law. The Fatimid caliphs also worked to spread the Ismaili Shia doctrine by all means at the stage of the Fatimid state in the Maghreb. This led to violent confrontations between the Fatimids, who worked to spread their Ismaili Shiite doctrine, and the Maliks, who expanded the spread of their doctrine.

The Fatimids pursued several economic doctrinal policies. In order to achieve the success of the propagandistic and political project of the Ismaili Shiites and break the fork of the Maliki jurists, the Maliki resistance acquired two characters: the peaceful positive character, and the Revolutionary practical character.

Keywords: Maliki jurists; Fatimid court; sectarian conflict; Abu Yazid's external revolution; debates.

المقدمة:

الدولة الفاطمية واحدة من الكيانات السياسية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي انفصلت عن الخلافة العباسية، هذه الدولة التي يمكن اعتبارها بمثابة المشروع السياسي للدعوة الإسماعيلية التي تميزت بدقة التنظيم، وتنوع أساليب، الدعوة والمؤكد أن هذه الدول مرت بمرحلتين، وما يهتمان في هذه الدراسة هي مرحلتها في بلاد المغرب الإسلامي التي شهدت فيها من المقاومة المالكية ما ظلت المصادر التاريخية تتناقله وهذا ما شكل ما يعرف بموضوع السلطة الفاطمية والفقهاء المالكية.

وعليه جاءت الإشكالية كالآتي: ما طبيعة الصراع بين السلطة الفاطمية والفقهاء

المالكية؟

أهداف البحث تتمثل في: تحديد الأساليب والوسائل التي انتهجها الفقهاء الفاطميون في مقاومة المد الشيعي الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي، وإبراز دور الفقهاء السياسي في مواجهة الفساد السياسي للسلطة.

ولمعالجة الإشكالية اعتمدنا على منهجين في دراسة هذا الموضوع، أهمها منهج الوصف السردي القائم على وصف الوقائع وسرد الأحداث التاريخية كما هي، إضافة إلى منهج التحليل والذي لم نستعمله إلا في بعض الحالات التي تتطلب الوصول إلى أحكام منطقية ومعللة.

1- مظاهر مقاومة علماء المالكية للسلطة الفاطمية:

ندرس هذه المقاومة ضمن مظهرين من مظاهر المقاومة، الأول يتمثل فيما اصطلح عليه الدارسين المقاومة السلبية ذات الطابع السلمي والثانية تتمثل فيما اصطلح عليه بالمقاومة العملية ذات الطابع الثوري.

أ- المقاومة الإيجابية ذات الطابع السلمي:

يمكننا التمييز بين عدة مواقف، أبرزها المواجهة المباشرة وموقف التقية، وسخط الفقهاء المالكية إلى ما وصلت إليه السلطة الفاطمية من ممارسات كمحاولة لنشر المذهب الإسماعيلي⁽¹⁾ وتبنيه من طرف العامة وحتى الفقهاء المالكية⁽²⁾.

وتتمثل هذه المقاومة أساسا في مقاطعة المجتمع ومقاطعة الدولة، ورفض التعامل معها

(1)- وينسب إلى إحدى فرق الشيعة التي تنتمي إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، بعد أن ساقطت الإمامة له ونفتها عن موسى الكاظم وانشقت بذلك عن الإمامية الاثني عشرية، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر الصادق، وانبثق عن الإسماعيلية القرامطة، الحشاشون، الفاطميون، والدروز، وللإسماعيلية فرق كثيرة وألقاب عديدة تختلف باختلاف البلدان، مذهبهم الرفض، وتعطيل صفات الله، وإبطال للنبوة. ينظر: تاج الدين الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.س. ط، ج 1، ص 167، 169، 192. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص 267-268. محمد بن أحمد الملطي، التنبيه والرد، تحقيق: محمد بن زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص 218. عبد الرحمن بن سعد البشتري، اعتقاد الشيعة الاثني عشرية سؤال وجواب، دون معلومات، ص 66.

(2) - عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982، ص 137.

ومحاولة استنقاص حكامها وأعوانها بشتى الوسائل. فبالنسبة إلى مقاطعة المجتمع⁽¹⁾ نلاحظ أنه نتيجة لرفضهم ظاهرة التشريق انغلق البعض من علماء المالكية⁽²⁾ على أنفسهم، والراجح أن هذا الرفض يعود لعدة أسباب منها: مبادئ التشييع التي أعلنتها الفاطميون. حيث يذكر صاحب كتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"⁽³⁾ أن أبا عبد الله محمد البرانسي (ت 357هـ_ 967م) كان يقيم ثلاثة أشهر متتالية (رجب، شعبان، رمضان) لا يتفوه بكلمة، ويرد السلام بالإشارة⁽⁴⁾.

أما بالنسبة لمقاطعة الدولة وأعوانها فإن ذلك يظهر في عدة مظاهر لعل أهمها كتابة آيات قرآنية على حائط الجامع، موضع جلوس القاضي المروزي، هذا الأخير الذي كان يدعو الناس للعمل بمبادئ أهل البيت، لكن الفقهاء عملوا على مهاجمته وعدم المشاركة في صلاة الجمعة، وكذلك رفض الانضمام إلى الجيوش البحرية للفاطميين، بل تعدى ذلك إلى الامتناع عن رفض الصلاة على جنائزهم، عدم الصلاة عليهم وعدم مناكتهم⁽⁵⁾.

وفي قضية مقاطعة صلاة الجمعة يعتبر جبلة بن حمود (ت 299هـ_ 911م) رائد المواجهة المباشرة، ومن ذلك إظهاره العداء للدولة الفاطمية، والهدف هو تجنب سماع كفرهم⁽⁶⁾.

(1) - راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص270.

(2) - هو ثاني المذاهب الأربعة في القدم، صاحب هذا المذهب هو مالك بن أنس رضي الله عنه ولد سنة 93هـ(712م) والمتوفي سنة 179هـ(795م) تربي في وسط علمي بالمدينة المنورة، تعلم فيها، وتوجه إلى دراسة علم الفتوى وجزيئات الأحكام الشرعية التفصيلية العلمية التي اجتهد فيها، ولذلك اشتهر هذا المذهب بالإضافة إلى اسمه قيل المذهب المالكي. أحمد باشا تيمور، المذاهب الفقهية الأربعة، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2001، ص64. نذير حمادو، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية في أسباب انتشاره في الغرب الإسلامي، الجزائر، 2008، ص5.

(3) - تعد من أولى المدن التي شيدت بالمغرب الإسلامي سنة (50هـ_670م) حين اختارها عقبة بن نافع مكانا استراتيجيا، بحيث تكون بعيدة عن الخطر البيزنطي والبربري معا، وأرادها معسكرا لجند الإسلام، ومن هنا كانت تسمية القيروان، وهي معربة عن كلمة كاروان الفارسية وتعني المعسكر، نتخذ قيروان أنظر: أحمد الويحات، الموسوعة العربية العالمية السعودية، 2004، ص20.

(4) - الدباغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، محمد ماضي، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ج3، ص74-75.

(5) - راضي دغفوس، المرجع السابق، ص272.

(6) - المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسيبر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تج: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ج2، ص36، 42.

وقد كان أعنف شخصيات المالكية يوسف بن جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن مسلمة الصديقي⁽¹⁾، الذي كان من بين الفقهاء الزهاد حيث لازم حياة الرباط. وفي جوابه عن ذلك يقول: "كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل هذا العدو بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك"⁽²⁾ وقد أظهر معارضة تامة للنظام الفاطمي وحمل مسؤولية تعطيل صلاة الجمعة للشيععة قائلاً: "قطعوها قطعهم الله" والملاحظ تاريخياً أن دعوته كان لها صدى واسع. وذكر عنه بأن غير مجرى حياته بعد قيام الدولة الفاطمية⁽³⁾ فكان إذا صلى الصبح يخرج من القيروان تجاه رقادة⁽⁴⁾ وهو على استعداد للقتال، ويبقى هناك حتى غروب الشمس⁽⁵⁾. وعندما سأله الناس عن سبب ذلك قال: "أحرس عورات المسلمين منهم فإن رأيت شيئاً حركت المسلمين عليهم"⁽⁶⁾.

كما يذكر صاحب التراجم أغلبية أنه أجاب البعض قائلاً: "أرأيت لو نزل الروم بنا ... وإن عشت ستري من حكام هؤلاء"⁽⁷⁾ ما هو شر من حكام الشرك"⁽⁸⁾ ويضيف المالكي أنه كان يقاطع الجمعة في العهد الأغلي كذلك.

-
- (1) - سمع من سجنون وكان من أهل الخير البين، والعبادة الظاهرة والورع والزهد، وكان صالحاً ثقة زاهداً، سمع منه الناس. وكان سيد أهل زمانه توفي سنة 299هـ/ 911م وكان مولده سنة 210هـ/ 825م. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996 م، ص 170.
- (2) - الديباج، المصدر السابق، ج2، ص 272.
- (3) - الدولة الفاطمية (296-558 هـ/ 909-1171 م): دولة إسلامية شيعية إسماعيلية نشأت ببلاد المغرب وتوسعت إلى مصر والشام والحجاز وصقلية... ينظر: محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006، ص 42 وما بعدها.
- (4) - رقادة: بلدة كانت بإفريقية، بينها وبين القيروان أربعة أيام، والمعروف أن الذي بناها هو إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وكان ابتداء تأسيسه لها سنة 263هـ/ 876م، فلما انتقل عنها عبید الله إلى المهديّة دخلها الوهن، وانتقل عنها ساكنوها، ولما ولي معد بن إسماعيل خرب ما بقي من أثارها، ولم يبق منها شيء غير بساطتها. شهاب ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج3، ص 55.
- (5) - موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 42، 422.
- (6) - الديباج، المصدر السابق، ص 275.
- (7) - يقصد بهؤلاء الفاطميين.
- (8) - القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968، ص 284.

ويمكن القول إن لجبله الفضل الكبير في إظهار المواقف الصارمة ضد بني عبيد الفاطميين⁽¹⁾.

ونجد أن بعض علماء المالكية في العهد الفاطمي عمدوا إلى التأليف كوسيلة لمقاومة الفاطميين، فقد ألف أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي⁽²⁾ (ت 359هـ_969م) كتابا في الإمامة والرد على الرافضة فامتحنه الخليفة الفاطمي القائم⁽³⁾ (322هـ-934م/334هـ - 946م) وحبسه⁽⁴⁾.

وضمن إطار هذه المقاومة السلبية ذات الطابع السلمي يمكن أن تدمج كذلك نظم القصائد الشعرية لهجاء الشيعة ولعل أشهرها قصيدة أبي القاسم الفزاري⁽⁵⁾.

والقول إن فقهاء المالكية منهم من عارض الوجود الفاطمي، عن طريق الانكفاء داخل البيوت إنما كان للترقب وانتظار تبلور الأوضاع، وهؤلاء العلماء قد مواقف متباينة من الفاطميين ومذهبهم الإسماعيلي، ويمكن إيجاز هذه المواقف فيما يلي:

1- موقف الانكفاء: أي أن أصحابه اكتفوا بإظهار الانسجام مع المجتمع دون إظهار مواقفهم.

2- الدعاء على الفاطميين عن طريق الدعاء بزوال حكمهم وفنائهم .

3- مقاطعة أماكن العبادة: التي تظهر فيها السيطرة الفاطمية كون عملية التشريق

(1) - عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تق: علي الشيبالي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975، ص 187.

(2) - امتحن على يد أبي القاسم ابن عبد الله الرافضي ضربه سبعا مئة سوط وحبسه أربعة أشهر بسبب تأليفه كتابا في الإمامة، وقيل بسبب كتاب الإمامة الذي ألفه ابن سحنون، توفي سنة 159هـ/775م، وقيل سنة 361هـ/971م. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص 144.

(3) - القائم: أبو القاسم بن عبيد الله، ثاني الخلفاء الفاطميين، ولد بسلمية من بلاد الشام 280هـ/893م، بوع يوم مات أبوه سنة 322هـ/933م، خرج في أيامه أبو يزيد الخارجي، ومات وهو محارب له سنة 334هـ/945م. ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق وتعليق: جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 170. أحمد بن يوسف الفرمانى، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: أحمد حطييط وفهبي سعد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996، ج 2، ص 231.

(4) - المالكي، المصدر السابق، ص 36، 42.

(5) - نجم الدين الهنتاني، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م، تونس، 2004، ص 167، 168.

دخلت في الصلاة حيث اتخذ من المهديّة⁽¹⁾ قبلة، إضافة إلى عزوف المالكية عن الصلاة في مساجد الفاطميين⁽²⁾.

وأبرز مواقف فقهاء المالكية التي كانت تمثل مقاومة إيجابية مباشرة والتي كانت مقاومة سلمية هادئة وخصبة في آثارها وإيجابية في نتائجها.

وعلى حد تعبير عبد العزيز المجذوب في كتابه "الصراع المذهبي بإفريقية"⁽³⁾ إلى قيام الدولة الزييرية "أن فقهاء المالكية قد تعدّوا الطابع السّلمي في مقاومتهم بأن حولوا هذه المقاومة إلى ثورة مسلحة سنتطرق لها بالتفصيل من خلال ما يعرف بالمقاومة العملية من خلال ثورة يزيد مغلد بن كيداد اليفرني فيما يلي من بحثنا هذا.

ب- المقاومة العملية ذات الطابع الثوري:

تتمثل المقاومة في مشاركة الفقهاء في ثورة أبي يزيد بن مغلد بن كيداد الزناتي الخارجي، حيث تعددت مسمياته بين المؤرخين فنجد اليفرني والنكاري (332-336هـ/943-947م).

وتجدر الإشارة إلى أنه قد كانت هناك حركات ثورية وعصيان وتخريب، إحراق بعض المؤسسات ومحاولة لقتل المهدي وبعض رجاله يوحي ذلك أن الزعامات المالكية كان لهم دور ويدل ذلك على مدى تعلق السكان بهم ومما قيل فيهم "جزى الله مشيخة القيروان خيرا، هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون ولو فروا، لكفرت العامة دفعة واحدة"⁽⁴⁾.

أما ثورة أبي يزيد الخارجي التي كانت بمثابة الفرصة السانحة للفقهاء المالكية للتحويل

(1)- المهديّة: تقع بين سوسة وصفاقس على الساحل، بناها المهدي، فكان ابتداءه بالنظر فيها سنة 300 هـ/ 912 م، وانتقل إليها سنة 308 هـ/ 920م، وبنى فيها قصره وقصرا لابنه ودارا للصناعة، وجعل لها أبراجا من جهة البحر الغربية، وجعل لها بابين من حديد. للمزيد أنظر: أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، ص 28.

(2) - حسن حافظي علوي، الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسط، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص 52، 55.

(3)-إفريقية: اسم لبلد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وحدها من طرابلس إلى بجاية. شهاب الدين ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 288.

(4) - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 422.

فيما يعرف تاريخيا بمرحلة المقاومة العملية للفاطميين ومساندتهم لها قولاً، عملاً، مالا ورجالا.

ومن بين الفقهاء الذين شاركوا في هذه الثورة: عباس الممسي (ت 333هـ_ 944م)

وأبو إسحاق السبائي (ت 356هـ_ 966م) وأبو العرب صاحب الطبقات (ت 333هـ_ 944م) إضافة إلى ربيع القطان (ت 334هـ_ 945م) ⁽¹⁾ هذه المشاركة صحبتها عملية دعوة وتحريض على الثورة برفع راية الجهاد والانضمام إلى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي المكنى "بصاحب الحمار" وقد بسط العلماء أسباب وجوب الثورة التي تمثلت في الكفر، حيث نجد أبا الفضل عباس الممسي يميز بين الخوارج والفاطميين فيقول في كليهما:

1- الخوارج: "إنهم من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام ويوثون ويورثون" ⁽²⁾.

2- الفاطميون: "إن بني عبيد مجوس زال عنهم اسم المسلمين، فلا يتوارثون معهم، ولا ينتسبون إليهم، وقطع دولتهم فرض" ⁽³⁾.

وكانت هذه الثورة كانت بمثابة الأمل الذي رأى فيه الفقهاء المالكية خلاصهم من حكم الشيعة الفاطميين أثناء المؤتمر العام الذي عقد بإشراف زعماء أهل السنة عندما اتفقوا على إعلان الثورة وجهزوا أنفسهم وأتباعهم وركزوا بنودهم قبالة مسجد القيروان وكان عدد هذه البنود سبعة تحمل شعارات مختلفة وتميزت عن بعضها بألوان خاصة. وإن الدارس لهذه الشعارات وفي قراءته لفحواها يتبين له أسباب الغضب من الحكم الفاطمي. ⁽⁴⁾

لكن أبا يزيد تأمر على حلفائه السنين ومهد لقتلهم على يد الفاطميين، وقد قال لجنوده: "إذا التقيتم مع القوم انكشفوا عن أهل القيروان، حتى يتمكن أعداؤهم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن" ⁽⁵⁾.

ومن خلال موقعة وادي المالح سنة (333هـ_ 944م) التي كان عدد القتلى فيها ضمن العلماء المالكية يفوق الثمانين وكان من بينهم: "ربيع القطان" والذي تشير المصادر أنه توفي

(1) - نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص 168.

(2) - حسن حافظي علوي، المرجع السابق، ص 53.

(3) - المرجع نفسه، ص 53.

(4) - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 428.

(5) - المرجع نفسه، ص 429.

سنة (334هـ_945م)، ويؤكدون على أنه كان ضمن شهداء موقعة "وادي المالح" سنة (333هـ_944م) وأبو الفضل الممسي (ت 333هـ_944م)⁽¹⁾

لكن السؤال المطروح: لماذا وقف أبو يزيد هذا الموقف من القيروان وفقهائها؟

يمكن أن نستنتج من خلال ما سبق أن أبا يزيد قام بهذا من أجل:

1- محاولة منه القضاء على الدولة العبيدية والفقهاء المالكية عن طريق سياسة ضرب العدو بالعدو.

2- الرغبة في إقامة دولة إباضية على المذهب النكاري.

وكادت هذه الثورة أن تعصف بالدولة الفاطمية وانعكست بعض آثارها إيجابا على الفقهاء منها: الاعتدال في السياسة الفاطمية اتجاه الفقهاء المالكية، إذ لم تدم مناصرة الفقهاء وأهل القيروان لأبي يزيد، وإنما سارعوا للاتصال بالخليفة الفاطمي المنصور⁽²⁾ (334هـ-946م / 341هـ-953م) و عبروا له عن تعاطفهم بالقبض على أبي يزيد وكنتيجة لهذا عين المنصور قاضيا من المالكية على القيروان سنة (334هـ_945م) و هو عبد الله محمد بن أبي المنصور (ت 337هـ_948م) وبهذا تدخل العلاقات بين المالكية والفاطميين منعرجا جديدا، فساد بذلك الوفاق نسبيا، والملاحظ أن عبد الله محمد بن أبي المنصور لم يقبل ذلك إلا بعد تمنع وشروط.

مما سبق يمكننا القول بتضرر علماء المالكية على إثر السياسة الدينية والقمعية والمالية والاجتماعية والفكرية التي انتهجها الفاطميون.

2- الحوار العلمي بين السلطة الفاطمية والفقهاء المالكية (المناظرات):

وعلى إثر مضايقة الفاطميين لفقهاء المالكية برزت منهم فئة نصرت المذهب المالكي، من خلال مناظرة علماء الفاطميين وخلفائهم، والمعروف تاريخيا أن الفاطميين اتبعوا طريقة

(1) - راضي دغفوس، المرجع السابق، ص 170، 171.

(2) - المنصور بالله: إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله، ولد سنة 299 هـ/ 911م، ولي بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة 334 هـ/ 945م، بنى مدينة صبرة (المنصورية) وواصل حرب أبيه ضد أبي يزيد الخارجي وانتصر عليه انتصارا حاسما، توفي سنة 341 هـ/ 952م. ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 176. أحمد بن يوسف الفرمانى، المصدر السابق، ج2، ص 232.

المناظرة كوسيلة لإقناع الناس بتغيير مذهبهم والانضمام إليهم⁽¹⁾.

وعلى تعدد الفقهاء المالكية الذين حملوا راية مناظرة الفاطميين سنركز على مناظرات أبي عثمان سعيد بن الحداد الذي ناظر أبرز علماء الفاطميين، وبالرغم من نصح الكثير له بضرورة التقية وتجنب المناظرة إلا أنه اعتبرها بمثابة النصر لمذهبه، ولم يخف من بطش الفاطميين وقدرته على مواجهة الكثير من المواقف⁽²⁾، كما يذكر الخشني أن له حوالي أربعين مجلس مناظرة.

وأساس المناظرات التي دارت بينه وبينهم كانت تتناول المفاهيم التي ارتأوها من فهمهم الخاطئ لبعض الأحاديث والآيات القرآنية وتأويلهم لها وفق ميولاتهم وخدمة لمعتقداتهم، وفي المقابل نجد ابن الحداد المتشعب بالعلوم الحديثية المدرك لمكوناتها وإحاطته بعلوم اللغة العربية من الفهم والإحاطة بالقرآن الكريم واستيعاب معانيه⁽³⁾.

وما امتحن به بعض العلماء على يد السلطة الفاطمية واتهامهم بمختلف التهم لمجرد الشك فقط، حيث أن ابن الحداد واجههم علنا.

والسؤال المطروح كيف سلم ابن الحداد من بطشهم؟

يجيبنا عبد العزيز المجذوب بأنه سلم من بطشهم بجراته وتحديه لكونه كان يحارهم بسلاح الله وسيف الحق⁽⁴⁾. ويشير صاحب تراجم أغلبية في قوله: "... يا شيخ لا تغضب هذا الشيخ الذي يغضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف، فقال له أبو عثمان: لكفي أغضب لله الواحد القهار الذي أهلك عاداً وثموداً..."⁽⁵⁾.

وظهر أثناء حركة الجدل دور كل من علماء المالكية والسنة عموماً ومن بينهم محمد بن نصر بن خضرم، ومحمد بن سحنون⁽⁶⁾، وأبو بكر بن العمودي وابن البردون، وابن هذيل،

(1) - الدباغ، المصدر السابق، ص 298.

(2) - الخشني محمد الحارث بن أسد، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب، الجزائر، بيروت، ص 199.

(3) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 149.

(4) - المرجع نفسه، ص 149.

(5) - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 284.

(6) - القاضي سحنون: الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، من شيوخ إفريقية المالكية، ولد سنة 160هـ/776م، اجتمعت فيه خلال كثرة كالفقه البارع والورع الصادق، ولي القضاء سنة 234هـ/848م دون أجر،

وعلي بن منصور الصنعارة، ومحمد الرقادي . وابن الحداد ومن أشهر الذين تصدى لهم نجد: أبو العباس المخطوم⁽¹⁾، أبو عبد الله الداعي ومحمد بن عمر المروزي.

1- مسألة التفضيل:

هي أصل كل المجالات، حيث رأى الإسماعيلية أفضل سائر الصحابة الكرام هو علي رضي الله عنه و دليلهم في ذلك قوله: ﷺ: " من كنت مولاه، فعلي مولاه " "أفضلكم علي"، ورد ابن الحداد على ذلك بقوله: "عن أبي بكر الصديق ثاني اثنين إذ هما في الغار"⁽²⁾.

2- قضية تراويح رمضان :

ناظر سعيد بن الحداد قاضي الفاطميين في القيروان عبد الله بن عمر المروزي، إذ أرسل المروزي إلى عدد من فقهاء القيروان مالكية وحنفية وطلب منهم إجراء مناظرة معه موضوعها قيام رمضان - قضية التراويح - فأخبره سعيد بن الحداد بأن نتيجة هذه المناظرة معروفة مسبقا وطلب منه عدم إجرائها، فرفض المروزي فناظره سعيد بن الحداد وتغلب عليه وفيها رفض المروزي قيام رمضان واعتبر ذلك بدعة⁽³⁾.

وكان رد ابن الحداد اعترافا بأنها بدعة لكنها مستحسنة، وفي إجابته عن إشكالية الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يواصل القيام بها في رمضان، لأنه مشرع وخشي أن يتوهم الناس فرضها.

3- قضية مسألة القياس:

بالنسبة للقياس حدث نقاش تزعمه أبو عبد الله الشيعي، الذي أنكر على فقهاء المالكية، كموسى بن عبد الرحمان القطان، وابن الحداد عملهم بالقياس وترك القرآن في

توفي الإمام سحنون سنة 240هـ/854م. أحمد بن تميم أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن الباي، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، ص184.

(1) - أبو العباس: أحمد بن أحمد بن محمد بن زكريا، الأخ الأكبر لأبي عبد الله، أسهم في قيام الدولة العبيدية، لكنه لم يرض بأن يستأثر المهدي بالحكم وحده، وانتهى أمره بالقتل سنة 298هـ/910م. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص192.

(2) - موسى لقبال، المرجع السابق، ص413، 415.

(3) - عليا هاشم دنون المشهداني، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، نوقشت أمام مجلس كلية التربية في جامعة الموصل، 2003، ص140.

حديث جرى على حد شارب الخمر، فأوضح ابن القطان أن الحد أخذ قياساً على حد القذف المنصوص عليه في القرآن لأن مآل المخمور أن يطلق لسانه بما يشين غيره، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إذا سكر هذى، وإذا هذى افتري"⁽¹⁾ فوجب عليه ما يؤول أمره إليه وهو حد القذف" وكذلك فعل عمر بن الخطاب، وعندما طعن الشيعي في عمر، ووصفه بأنه فر بالراية يوم حنين، و أنكر ابن القطان الواقعة بقوله "ما عرفنا ولا سمعنا بهذا" وهنا تدخل ابن الحداد وأوضح بأن عمر تحيز إلى فئة، ومن تحيز ليس بفار⁽²⁾

قال له أبو عبد الله الشيعي: القرآن يقول: "أن محمداً ليس بخاتم النبيين"، فقال له: "أين ذلك؟"، قال في قوله: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾⁽³⁾ فخاتم النبيين غير رسول الله، فقال له: "هذه الواو ليست واوا الابتداء، وإنما هي من واوات العطف"، كقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾ فهل أحد يوصف بهذه الصفات غير الله؟

وهذا سؤال يدل على تكلف الشيعيين وتعصيمهم في تأويل معاني الآيات الكريمة، وقد ادعى مرة أخرى أن الله قد أخبرنا بأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سيرتدون بعده بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾⁽⁵⁾، فأجابه من يفهم في البيان على حقيقة الآية أن الاستفهام في الآية بمعنى التقرير، "انقلبتم" بمعنى "أفتنقلبون"، وعداوة الشيعة لأبي بكر، جعلتهم يبحثون في الآثار مما يساعدهم على تأويله على إدانته أو التحقير من شأنه ومن ذلك قول أبي عبد الله يوماً لأبي عثمان: "هلا كان عندك في قوله حكاية عن نبيه، في قوله لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾⁽⁶⁾ دلالة على أن حزنه كان مسخوطاً لنبي النبي صلى الله عليه وسلم عنه؟" فحمل الشيعي النبي ما لا يتحمل، إذ رآه نهياً من منكر وإثم احترامه أبو بكر، فبين ابن الحداد أن الله بآياته يبشر

(1) - علوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة الحديثية (الدرر السننية)، ينظر الموقع: <https://dorar.net/>، تاريخ

الاطلاع (2024-07-05)، ص 190.

(2) - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 415.

(3) - [الأحزاب: 40].

(4) - [الحديد: 3].

(5) - [آل عمران: 144].

(6) - [التوبة: 40].

الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه بأن لا خوف عليهما من المشركين فحزن أبو بكر، أي خوفه على الرسول أمر طبيعي لأنه بشر لا يعلم الغيب إلا الله⁽¹⁾.

ونختم بمناظرته للخليفة عبيد الله المهدي، وهدفها البعيد أن المهدي يريد أن يجعل الولاية أو الإمامة كحق من حقوق علي رضي الله عنه دليلاً من الحديث الشريف وكان يرمي إلى هدف أبعد من ذلك بل يريد أن يضمن الحديث "من كنت مولاه فعلي مولاه" معنى العصمة لعلي وأحفاده وواجب العبودية لهم، فحاول المهدي بذلك أن يناظر أبا عثمان في حق العصمة وحق الإمامة لهم في الأرض⁽²⁾.

لكن أبا عثمان فتد كذبه وأظهر المدلول الحقيقي الواضح للحديث المذكور، إذ أقر أبو عثمان بصحة الحديث وأنه من رواته، فطرب المهدي، وظن أنه قد غنم فقال: "فما للناس لا يكونون عبيدنا؟" فأجابه أبو عثمان أن العبادة لله وحده والعبودية إلا له وحده دون سواه، وأن المراد بالولاية في الحديث ولاية الدين لا ولاية الرق والعبودية⁽³⁾.

وقد كان لأبي عثمان في مناظراته الظهور الكامل في الرد على مفاهيم الإسماعيلية في تفسير آيات معينة من القرآن، وبعض الأحاديث النبوية وفي سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وعمل أصحابه رضي الله عنهم، ففتد مزاعمهم وأبطل تأويلهم.

قد وجدوا أنفسهم مجبرين، فتكلموا في الدين، وجادلوا وناظروا وأقبلوا على الفلسفة والمنطق من أجل الدفاع عن السنة والدين.

وقد أظهرت حركة الجدل بعض الحوادث التي قصد بها الإثارة والتأثير أن الداعي الشيعي لمّا بادر ابن الحداد في إحدى المناظرات بقوله: "يا شيخ إنك تطيل" فأجابه بسرعة: "ها أنا أطيل فلا يفهم عني، فكيف لو قصرت"

والملاحظ أن الشيعي وحاجبه الصقلي لم يأذن للناس بالدخول إلى المناظرة، فلما حضر ابن الحداد أذن له الحاجب بالدخول فأنكر الداعي ذلك عليه وبادره بقوله: "قلت لك: الناس" فأجابه الحاجب: "هذا هو الناس كلهم فأنا فعلت ما أمرتني به" فأسرها الداعي في نفسه لتخلص من حاجبه لشكه في مذهبه.

(1) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 150.

(2) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 160.

(3) - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 416.

وبعد فشل الشيعة في كسب هذا الرجل الذي تقف وراءه جماهير من السنة، اكتفوا برصد حركاته وتحري أعماله وصلاته بأصحابه، وكم فرحوا لوفاة سنة (302هـ/914م) حيث أرسلت الشعائر من القيروان إلى المهدي برفادة.

وإذا كان الشيعة قد أفرحهم خبر وفاته فكيف كان حال السنة؟ من المؤكد أن هذا الخبر قد ساء جمهور السنة والمالكية خصوصا، إذ مثل موته خسارة كبرى للمالكية، إذ أصبحت حركة الجدل، تجري في غير صالح المالكية⁽¹⁾.

وينقل إلينا القاضي النعمان نماذج من المجالس العلمية التي كان يعقدها المعز لدين الله الفاطمي⁽²⁾ فيقول واصفا تلك المجالس التي كان يشرف عليها المعز: "وجلس يوما - عليه السلام- وجلسنا جماعة من الأولياء بين يديه..."⁽³⁾

والملاحظ أن المعز عمل على نشر روح المناظرة، وقد أدت تلك المناظرات التي كان يشرف عليها المهدي إلى إثراء الفكر الشيعي والفلسفة من جهة وإيضاح الفوارق بينه وبين بقية المذاهب السنية بشكل عام، والمذهب المالكي بشكل خاص.

إن العهد الفاطمي في إفريقية وكامل بلاد المغرب تميز بكثرة المناظرات بين الشيعة والسنة، اتسعت فيه الأبحاث الفقهية والدينية ويمكن القول: إن هذه المناظرات كانت سببا من أسباب ازدهار العلم والأدب في هذا العصر.

3- تأثير الصراع في مختلف جوانب الحياة

أ- سياسيًا ومذهبيًا:

تجمع الدراسات على أن الصراع المذهبي في بلاد المغرب بين الشيعة الإسماعيلية والسنة المالكية انتهى بنهاية الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (362هـ/973م) ورحيلها إلى

(1) - موسى لقبال، المرجع السابق، 417.

(2) - أبو تميم معد، الملقب المعز لدين الله، بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، ولد بالمهدية سنة 319 هـ/930م، بوع سنة 341 هـ/1952م، وطد حكمه في بلاد المغرب، سير قائده جوهر الصقلي إلى مصر فتمكن من فتحها سنة 358 هـ/968م، فدخلها المعز سنة 361 هـ/971م توفي المعز سنة 365 هـ/975م بالقاهرة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5، ص 224-228.

(3) - بشير رمضان التليستي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، ط1، دار المنار الإسلامي، لبنان، 2004، ص 320.

مصر، ويمكن للدارس أن يتساءل قائلاً: ما هو دور الفقهاء المالكية في هدم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب؟

تؤكد الكثير من الدراسات ومن خلال ما تذكره المصادر السنية والشيوعية على حد سواء، انقلاب الجو السياسي والمذهبي ضد الفاطميين في بلاد المغرب تزامنت مع الدعوة وقيام الدولة ويمكن إدراج ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: تلك الثورات التي قامت ضدهم ولعل أبرزها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

ثانياً: الفقهاء المالكية الذين كانوا يرون في الدعوة الشيعية دعوة مذهبية تناقض المذهب المالكي، وهو ما لاحظناه سابقاً من خلال مقاومتهم لهم⁽¹⁾.

ومما تم نقله عن قول المعز في ذلك قوله: "وقد ابتلانا الله برعي الحمير والجمال فإنا لم نزل نتلطف في هدايتهم ومسايرة أحوالهم، إلى أن يختم الله لنا بالحسن والخروج من بين أظهرهم على أحسن حال"⁽²⁾.

وهناك عدة أسباب أدت إلى رحيل الفاطميين إلى مصر :

- المشروع السياسي في الفكر الإسماعيلي كان يرتكز على مصر بشكل كبير .
- مقاومة علماء المالكية والسنة وثبات عامة بلاد المغرب على رأي هؤلاء العلماء.
- انحصار المذهب الحنفي⁽³⁾ في المغرب.⁽⁴⁾
- المقاومة الخارجية وأهمها ثورة أبي يزيد.

إن ذلك الالتحام بين زعماء المالكية والعامة إنما أدى إلى تمكين المذهب المالكي بإفريقية.

(1) - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ج1، ص354.

(2) - نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص170.

(3)-الأحناف: نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان، أحد الأئمة الأعلام وأصحاب المذاهب السنية الأربعة المشهورة، ولد في الكوفة سنة 80هـ/699م، وكان عالماً زاهداً عابداً، وكان إماماً في القياس وإمام أهل الرأي، توفي سنة 150هـ/767م. إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج10، ص107. أبو بكر جابر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص275.

(4) - صبرين فنير، فاطمة بوعمامة، الحياة المذهبية والعلمية في دولة الأغالبة (184-296هـ/800-909م)، مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد 34، كلية العلوم الإسلامية، باتنة، الجزائر، جانفي 2024، ص361-362.

انطلاقاً مما أورده عبد الكريم غلاب في كتابه "قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي" أن سكان بلاد المغرب بشكل عام، وإفريقية بشكل خاص، مازالوا على حبههم لمذهب الإمام مالك الذي لا يفرق بين المسلم وأخيه إلا بالتقوى.

ب- اقتصادياً:

تكاد تتفق المصادر فيما تناقلته من أخبار عن إفريقية أنه أثناء الفتح الإسلامي تميزت بوفرة خيراتها، واتصال عمرانها، وغزارة مياهها وكثرة إنتاجها، وكانت مورداً للأمم التي توافدت عليها، فاستغلت نعمها وثرواتها، لكن لما جاءها العرب حتى وجدوها خاوية وأراضيها قاحلة وهذا ما يؤكد على حد تعبير المجذوب على دور العرب الحضاري في إفريقية.

وعلى الرغم من ازدهار الحياة الاقتصادية أيام الأغالبة فقد مرت بفترات جد صعبة خاصة ما أصاب الناس من بلاء، عند استيلاء الفاطميين على القيروان، وما أظهره أتباعها من تجبر على الناس، وثورة أبي يزيد التي كادت أن تعصف بمعالم الدولة الفاطمية، فعطلت مواردها ما أدى إلى إثقال كاهل سكان إفريقية وبلاد المغرب عامة.

وكذلك غلاء المعيشة، ونقص المعاملات خاصة مع تفشي ظاهرة الربا، وما اتبعته السياسة الفاطمية في جمع الأموال.

ويمكن القول إن الصراع المذهبي يدور في التأثير على الأحوال الاقتصادية في عهد الدولة الفاطمية وما أنتجته من إفلاس الفقهاء وغيرهم⁽¹⁾.

وبشكل عام وضمن إطار ما عرفته بلاد المغرب وإفريقية من صراعات مذهبية، سواء قبل قيام الدولة الفاطمية أو بعدها، يمكن القول إن هذا الصراع المذهبي لم يسمح باستقرار الحياة الاقتصادية⁽²⁾.

ج- اجتماعياً:

من خلال ما ورد ذكره في مصادر التاريخ الإسلامي، وعلى حد تعبير "عبد العزيز المجذوب" فإن المجتمع القيرواني يتكون من أجناس، شاءت لها التيارات السياسية والخلافات الفكرية والمذهبية ألا تتألف تآلفاً تاماً، والواضح أن البربر يمثلون أغليتهم، أما

(1) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 231، 227، 234.

(2) - المرجع نفسه، ص 234.

بقية الأجناس فيمكن وضعها ضمن إطار الأقليات أهمها الأسر العربية والأندلسية واليهودية والمسيحية، وبذلك يمكن التمييز بين طبقات الشعب القيرواني:

- طبقة أرستقراطية عربية: ويمثلها أرباب الحكم.
- طبقة خاصة: وهي تمثل كبار رجال الدولة (الوالي، الحرس الخاص).
- طبقة التجار: كان لها من التأثير الشعبي ما لا يمكن تجاهله.
- طبقة رجال العلم والدين: والتي كانت تتميز بنفوذ روحي لدى العامة، وكانت لهم السطوة على العامة بمقتضى المذهب المالكي.

هؤلاء الفقهاء الذين سيطروا على الحركة الفكرية بإفريقية وشكلوا ما يعرف بالقومية المالكية التي قاومت العنصرية والطبقية، وكل ما ظهر من الآفات الاجتماعية الهدامة⁽¹⁾.

ولعل أخطر الآفات الاجتماعية قد ظهرت خلال العهد الفاطمي، إذ عمد الفاطميون إلى تطبيق عقوبات على الناس، فجاروا على أموالهم، وأصابهم طاعون إفريقية سنة (307هـ_919م)⁽²⁾ وهذا يدل على الوضعية المزرية التي آل إليها المجتمع، وحرصهم على إصلاحه.⁽³⁾

د- فكرايا:

أنها كانت ذات طابعين الأول إيجابي والثاني سلبي.

حيث لاحظنا من محاولات الفاطميين لفرض مذهبهم على حساب المذاهب الأخرى، ولعل أبرزها أصحاب المذهب المالكي ذوو الأغلبية الذين ظلوا ثابتين عاملين على نبذ كل محاولة لنشر ما أسموه بالبدع، فهم قاوموا الخوارج والعراقيين والمعتزلة⁽⁴⁾ والدعوة الفاطمية وأصحابها.

(1) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 235، 236.

(2) - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 181.

(3) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 237.

(4) - المعتزلة: ويسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، نشأ المعتزلة في البصرة في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء وكان تلميذا للحسن البصري، ولهم أصول خمسة يتفقون حولها وهي: العدل والتوحيد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم فرق كثيرة منهم: الواصلية، والبهديلية والنظامية والجاحظية. الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 43.

إن ما يمكن أن يحكم عليه بالطابع الإيجابي لهذا الصراع هو تكوين حركات فكرية جعلت من الحياة العقلية بالقيروان لا تختلف عن سواها في المشرق، حتى نبغ منهم رجال برز بعضهم في الفقه، وبرع بعضهم في علم الكلام، ومنهم من أتقن فن المناظرة والجدل حتى نافسوا أهل المشرق⁽¹⁾.

إن قلة التأليف لدى علماء المالكية في العهد الفاطمي يرجع إلى الفترات التي تميزت فيها سياسة الفاطمية الدينية بالنصب لكن في المقابل نلاحظ نشاط التأليف الإسماعيلي، في إفريقية تم وضع أسس الفقه الإسماعيلي⁽²⁾ وقد برز في ميدان التشريع الفاطمي القاضي نعمان (ت 363هـ_ 974م) الذي وضع عدة مؤلفات لعل أشهرها: "دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام"⁽³⁾.

ويمكن القول بأن فقهاء المالكية وقفوا في وجه الفاطميين وقفة جنباً إلى جنب مع العامة كما يعتبر العلماء أول ضحايا السلطة الفاطمية، لكنهما بالمقابل بلغت القمة في سلم الهرم الفكري والعلمي والمذهبي.

الخاتمة:

من المؤكد أن موضوع السلطة الفاطمية والفقهاء المالكية لا يخرج عن إطار ما يعرف بالصراع المذهبي بإفريقية، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع نخلص إلى ما يلي:

- بلغ الصراع المذهبي بإفريقية أقصاه على عهد الدولة الفاطمية، وقد برز فقهاء المالكية على رأس ذلك الصراع، حيث لاحظنا أنهم كانوا يعمدون إلى محاربة كل ما يخالف المبادئ الحقة للشريعة الإسلامية.

- الخلفاء الفاطميون عملوا على نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي بكل الوسائل في مرحلة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب.

- قيام مواجهات عنيفة بين الفاطميين الذين عملوا على نشر مذهبهم الشيعي

(1) - عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 237.

(2) - نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص 167.

(3) - للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: مداخلتنا، كريمة بتقة، صبرين فنير، التراث الشيعي الإسماعيلي (الفاطمي) دراسة نقدية في ميزان الجرح والتعديل "دعائم الإسلام أنموذجاً"، ضمن الملتقى الوطني الأول حول التراث العلمي للفرق والجماعات المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي، جامعة عباس لغرور خنشلة، (يوم 4 ماي 2023).

الإسماعيلي، والمالكيين الذين وسعوا في انتشار مذهبهم.
 - انتهاج الفاطميين لعدة سياسات مذهبية. اقتصادية قصد إنجاح المشروع الدعوي والسياسي للشيعنة الإسماعيلية وكسر شوكة فقهاء المالكية.
 - اكتست المقاومة المالكية طابعين: الطابع الإيجابي السلمي، والطابع العملي الثوري وهذا ما يمكن إجماله فيما يلي :
 - رفض ظاهرة التشريق.
 - مقاطعة المجتمع والانغلاق على أنفسهم.
 - مقاطعة الدولة ورفض التعامل مع أعاونها هذا الاتجاه الذي تزعمه جيلة بن حمود الصديقي.

- هجاء الخلفاء والمشاركة في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي.
 - تلك المناظرات لا يمكن اعتبارها نوع من المقاومة المالكية للسلطة الفاطمية وإنما تتعدى ذلك إلى مفهوم آخر يدخل في إطار الحوار والجدل العلمي السلطة الفاطمية والفقهاء المالكية.

- تطور العلاقة بين فقهاء المالكية والسلطة الفاطمية في اتجاه الانسجام والوفاق هذا الوفاق لم يبرز إلا بعد ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

1. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
2. ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق وتعليق: جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
3. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
4. ابن فرحون المالكي، الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996 م.
5. أبو بكر جابر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.
7. أحمد الويحات، الموسوعة العربية العالمية السعودية، 2004.

8. أحمد باشا تيمور، المذاهب الفقهية الأربعة، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2001.
9. أحمد بن تميم أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس.
10. أحمد بن يوسف الفرمانى، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: أحمد حطيط وفهيمى سعد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996.
11. إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.
12. بشير رمضان التليستى، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، ط1، دار المنار الإسلامي، لبنان، 2004.
13. تاج الدين الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.
14. حسن حافظي علوي، الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسط، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
15. الخشني محمد الحارث بن أسد، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب، الجزائر، بيروت.
16. الدباغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، محمد ماضي، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.
17. راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
18. شهاب ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
19. صبرين فنير، فاطمة بوعمامة، الحياة المذهبية والعلمية في دولة الأغالبة (184-296هـ/800-909م)، مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد 34، كلية العلوم الإسلامية، باتنة، الجزائر، جانفي 2024.
20. عبد الرحمن بن سعد الشثري، اعتقاد الشيعة الاثني عشرية سؤال وجواب، دون معلومات.
21. عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تق: علي الشياي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975.
22. عبد العزيز فيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،

- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982.
23. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
24. علوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة الحديثية (الدرر السننية)، ينظر الموقع/https://dorar.net.
- a. علياء هاشم دنون المشهداني، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، نوقشت أمام مجلس كلية التربية في جامعة الموصل، 2003.
25. القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968.
26. كريمة بتقة، صبرين فنير، التراث الشيعي الإسماعيلي (الفاطمي) دراسة نقدية في ميزان الجرح والتعديل "دعائم الإسلام أنموذجا"، ضمن الملتقى الوطني الأول حول التراث العلمي للفرق والجماعات المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي، جامعة عباس لغرور خنشلة، (يوم 4 ماي 2023).
27. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994.
28. محمد بن أحمد الملطي، التنبيه والرد، تحقيق: محمد بن زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
29. محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006.
30. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
31. نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م، تونس، 2004.
32. نذير حمادو، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية في أسباب انتشاره في الغرب الإسلامي، الجزائر، 2008.